غلطة عمر النظام

obeikan.com

obeikan.com

نبدأ الحكاية من غلطة عمر النظام التي ندم عليها ٥ سنوات حينما وافق علي وجود إشراف قضائي كامل علي الانتخابات ،رجال النظام قالوا في قرارة أنفسهم «أدينا هنجرب » وكانوا يراهنون علي عدة أمور منها أن القضاة سيكونوا أداة لينة في أيديهم وأنهم سيأتمروا بأوامرهم وسينتهوا بنواهيهم فالقضاة من وجهة نظرهم « باشوات » ومرفهين قادمين من خلفيات اجتماعية وأرستوقراطية متميزة لا يمكن أن ينحازوا إلى الناس الغلابة علي حساب النظام الذي أعطاهم كل هذه الميزات الاجتماعية والمادية ،راهنوا أيضا علي أن المصريين أدمنوا الاستقرار منذ عهد الفراعنة وأنهم لا يميلون إلى التغيير ويرفعوا شعار «اللي نعرفه أحسن من اللي منعرفوش»،فظنوا وبعض الظن حق أن النظام وحزبه الحاكم سيكتسح في هذه الانتخابات مثل غيرها ،ولكن خاب ظنهم في كل شيء بدءًا من القضاة الذين أعتقدوا أنهم جزء من السلطة التنفيذية ونسوا أو تناسوا أن القضاء سلطة مستقلة وانحاز كل القضاة «إلا قليلا» إلى العدل والحق والشفافية فرفضوا التزوير وقرروا أن يدخلوا التاريخ من أجمل أبوابه وهو باب قول الحق والثبات عليه

وخاب ظنهم في الناس الذين انتفضوا لينتخبوا نوابا غير نواب الوطني من الإخوان والمستقلين ليس حبا في الإخوان أو المستقلين المنشقين عن الوطني أو المستقلين فعليا ورسميا بقدر ما هو كرها لنواب الوطني الذين تصلبوا في أماكنهم منذ عشرات السنين دون أن يقدموا شيئا لا إلى دوائرهم ولا إلى وطنهم لأنهم كانوا واثقين من أنهم باقين في مواقعهم وكراسيهم البرلمانية حتى لو لم يحصلوا علي صوت واحد في الانتخابات ،جاءت تجربة ٢٠٠٥ كارثية من وجهة نظر النظام لذلك سارع إلى تصحيح هذا الخطأ بعد عامين فقط من التجربة ،وقاموا بالتعديلات الدستورية التي منعت القضاة قسرا وقهرا من الإشراف علي الانتخابات.

صحيح أن النظام لم يكن قد أقدم علي هذه الخطوة«محاولة إجراء انتخابات نزيهة » تطوعا ولا حبا منه في تجريب وسيلة من وسائل منع القمع فالظرف الدولي هو الذي أجبره إجبارا علي القيام بمثل هذه الخطوة ‘لان أعضاء عصابة المحافظين الجدد في أمريكا اخذوا نفسا عميقا بعد علقة ١١ سبتمبر وفعلوا مثلما فعل أرشميدس عالم الرياضيات الشهير حينما كان يفكر في مسألة رياضية معقدة فالقي بنفسه في حوض الماء وبعد تفكير عميق خرج من الحوض صائحا يوركا يوركا أي وجدتها وجدتها ،وعلي نفس الدرب سار بوش الابن «أغبي رئيس في تاريخ أمريكا» ورامسفيلد وبول وولفيتز وباقي العصابة إذ أنهم بعد تفكير غير عميق وغير منطقي صاحوا «ديموقراطية ديموقراطية » وحينما سئلوا ماذا تقصدون؟ قالوا: «إن الذين قاموا بتفجيرات ١١ سبتمبر جاءوا من شعوب تعاني من القهر السياسي والحكم الفردي الاستبدادي وامريكا بصداقتها لهذه الأنظمة وتغاضيها عن الانتهاكات والممارسات القمعية التي تقوم بها تلك الأنظمة بحق شعوبها تحرض هؤلاء الأشخاص علي القيام بهذه الجريمة لأنهم مقموعون مقهورون مذلولون في أوطانهم ولا يملكون من أمرهم شيئا » وأكمل صوت المحافظين الجدد قائلا «يعني لازم أمريكا تضغط علي هذه الأنظمة من اجل تحقيق الديموقراطية »نسي قادة المحافظين الجدد أن الانحياز الأمريكي المتعصب والاتوماتيكي لإسرائيل هو السبب الرئيسي في علقة ١١ سبتمبر «إذا كان تنظيم القاعدة هو فعلا من قام بهذا الهجوم»ولما رأي الحكام العرب رقبة صدام حسين «نحسبه شهيدا» وقد نحرت ليلة عيد الأضحى تحسس كل واحد منهم رقبته وأدرك أن الرياح عاتية وأن عليه يسد الباب الذي تأتي منه الريح حتى يستريح « وهذا ما فعله النظام المصري الذي يرتبط بعلاقة استراتيجية وغرامية بالولايات المتحدة»قدم للأمريكان وللإسرائيليين خدمات لوجيستية ومعلوماتية ومخابراتية وأمنية لم يقدمها اي نظام

في العالم» ،ولم يكن يعتقد أنه سيأتي اليوم الذي تنقلب فيه أمريكا علي أصدقائها وحلفاءها الاستراتيجيين بهذا الشكل أو تضغط علي أعصابهم بشكل يؤدي إلى إثارة العصب الحائر لديهم ،ولان النظام المصري واحدا من اذكي واقدر الأنظمة في التاريخ«في مسألة البقاء في الحكم حتى آخر نفس» قرر أن ينحني للموجة لتمر العاصفة الأمريكية بسلام ،فسمح بانتخابات شبه نزيهة خاصة في المرحلة الأولي ونصف الثانية ووافق علي الإشراف القضائي وسمح للإعلام الخاص والمستقل أن يعلو صوته وان يتجاوز كل الخطوط وان يحطم كل التابوهات ،رفع رجال النظم الأقوياء شعار «دعه يعبر دعه يمر» كانوا يراهنون علي عامل الزمن وان الأمر ليس أكثر من هوجة وأن أمريكا لن تضحي بمصالحها الاستراتيجية مقابل بدعة الدمقرطة ،وجاء رهانهم في محله فبوش ومجموعته لم يكن ليذرفوا الدموع حزنا علي شعوب الشرق الأوسط المقهورة المحرومة من جنان الديموقراطية والحكم الرشيد، وجاء أوباما الذي بهرنا برشاقته اللفظية والجسدية فوجه ضربة قاضية لكل الواهمين أن أمريكا ستحارب نيابة عنهم لتقدم لهم الديموقراطية والحرية والانتخابات النزيهة مع وجبة الإفطار.